

عشت في كربلاء^(١)

آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي
قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ذكرياتي في المدينة المقدسة

هكذا رأيت المدينة

كربلاء المقدسة مدينة تقع في غرب العراق، من بلاد آسيا، نشأت فيها واحتضنتني خمسة وثلاثين عاماً، لم أر فيها إلا الخير والسعادة والتقدم، ولم ألمس من أهاليها إلا الإشفاق، والطيب والتراحم، وهنا سؤال يفرض نفسه، هو: كيف تقول: لم أر فيها إلا الخير والسعادة والتقدم؟ والمعروف أنك قد اضطهدت فيها، بألوان من الاضطهاد، وناوئك بعض القاطنين فيها؟ والجواب على ذلك واضح جداً فيني أرى مفهوم الخير ما يعنى به في الدعاء الذي نقرأه في صلاة كل عيد: (اللهم أدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد، وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمد وآل محمد..). وقد اضطهدوا وعذبوا، وأهينوا وشردوا وقتلوا، وإن كل ذلك كان خيراً، فإن الخير هو أن يتمكن الإنسان أن يقود المجتمع، وأن يهيئ الخير والرفاه لبني الإنسان، وأن يعمر آخرته، وبعد ذلك لا فرق أن يكون في عرش الملك مثل النبي سليمان على نبينا وآله و (عليه السلام)، أو مبضعاً تحت سنانك الخيل مثل الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام)، وبهذه المناسبة يروى: أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال ذات مرة: (إني لم أحسن إلى أحد قط ولم أسيء إلى أحد قط) ولما أستغرب السامعون هذا الكلام وقالوا: يا أمير المؤمنين ألم

(١) ملاحظة: أخذنا نص هذا الكتاب من الانترنت موقع الإمام الشيرازي قدس سره، ولا بد من مطابقته مع الأصل المطبوع للتأكد من سلامته وعدم التغيير والحذف والتبديل فيه.

يسيؤوا إليك، ألم تحسن إلى الناس؟ قال (عليه السلام): إن الله سبحانه يقول في كتابه المجيد (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) فكل ما عملت من الإحسان كان إلى نفسي، وكلما أساءوا كان إلى أنفسهم. إنني بهذا المنظار أرى الخير، وبهذا المعنى رأيت في كربلاء المقدسة كل خير ورفاء، أما الاضطهاد فقد زاد تجاربي، وعلمي طرق الخير أكثر فأكثر، وشحد ذهني وقوى عزمي، هذا بالإضافة إلى ما أرجوه من الثواب والأجر في الآخرة، أما إساءة بعض الناس فقد قال تعالى: (إنما بغىكم على أنفسكم).. إن مهمتي في كربلاء المقدسة كانت هادفة إلى ترويح الإسلام، وتعريف الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين إلى الذين لا يعرفونهم، وخدمة البلاد الإسلامية، وبالأخص خدمة كربلاء المقدسة، باعتبارها مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته الأطهار، وهذا ما وفقت له إن قليلاً أو كثيراً.

بين الإقامة والرحيل

وإني لم أزل — وأنا خارج عن كربلاء — أهدف هذا الهدف نفسه: أما المواقع التي كنت أنطلق منها فهي: تحري (الحقيقة) و (الصبر) و (الرفق): وأما طريقي فيوجزها المثل القائل: (ينتظرون منك كل شيء، ولا تنتظر من أحد شيئاً) و (يقولون فيك كل سوء ولا تقل في أحد سوءاً) ولعل المفتاح الرئيسي لنجاحي في تلك المهمة، إن صح أني كنت ناجحاً، هو موقعي وطريقي.

والآن وقد فارقت كربلاء المقدسة في ليلة السبت (١٨) شهر شعبان المعظم ١٣٩١ هجري. وقطنت بالكويت بعد بضعة أيام فبها الطريق عبر سوريا ولبنان، لابد وأن التفت إلى تلك المدينة الجميلة الطيبة المقدسة، لأسجل ما رأيت فيها وما عملت، وما أنا بانتظار أن تتقدم المدينة إليه من الغايات، — وبعبارة أخرى كيف تركت كربلاء المقدسة، وهي إلى أين؟ — قد جهدت حين الكتابة، أن يكون ما أكتب مطابقاً للواقع، وفي نفس الوقت تجنبت الزوايا الحادة، حتى لا أسيء إلى أحد حسب المقذور.

تلميذ كربلاء

كنت في التاسعة من العمر، حينما هاجرنا إلى كر بلاء المقدسة بصحبة والدي (رحمه الله) بطلب من آية الله المجاهد الحاج أفا حسين الطباطبائي القمي (رحمه الله)، وأودعني أبي تلميذاً عند المرحوم الشيخ علي أكبر النائيني (رحمه الله) الذي كان معلماً للأطفال وكتاباً من الكتاتيب، وكان كتابه في الجنوب الشرقي من الصحن المقدس للإمام الحسين (عليه السلام)، وقد كان (رحمه الله) مثلاً للتقوى والفضيلة، والتربية الإسلامية الصحيحة، وإني أدين له بمعلوماتي الأولية (بدءاً من الأبجدية وانتهاءً إلى الأمثلة) الذي هو المدخل الرسمي للعلوم الدينية التي يمارسها طلاب العلوم الدينية.

وقد كان (رحمه الله) خطاطاً متفوقاً فأدين له ثانية بجودة خطي الذي ربما يعد جيداً، وما دارت الأشهر والسنوات حتى تخرجت من المدرسة الأكبرية (مدرسة الشيخ علي الأكبر) لأحشر مع طلاب علوم الدين في كر بلاء المقدسة، فأخذت أتردد على المدارس الدينية، وكانت المدارس الدينية يوم ذاك: (الهندية) و (البادكوبه) و (حسن خان) و (المهدية) و (ميرزا كريم الشيرازي) و (الصدر) و (الزينية) وقد هدمت الأخيرتان عندما فتح شارع الحائر وهو الشارع المحيط بصحن الإمام الحسين (عليه السلام). وتربيت على يد أساتذة عظام، و أعلام في الأدب والفقه والأصول والحساب وغيرها، وكان أكثر تتلمذي على سيدي الوالد (رحمه الله) فقد قرأت عنده (السيوطي في النحو) و (الحاشية في المنطق) و (المعالم في الأصول) و (شرح اللمعة في الفقه) و (مقامات الحريري في الأدب) و (المطول في البلاغة) و (خلاصة الحساب في الحساب)، وقرأت عنده في المحاضرات الاجتهادية في (درس الخارج): الرسائل، والمكاسب، والطهارة، والصلاة والصوم. والخمس، والحج، ورسائل متفرقة أحر، كما إني درست بالإضافة إلى ذلك (الكلام في أصول الدين) و (الحكمة في الفلسفة) والجغرافية، والهندسة والعروض، والتجويد، وعلم الفلك، وتفسير القرآن الحكيم، والتاريخ، وعلم الحديث، وعلم الرجال والطب. وبعض العلوم الأخر. كما تعلمت من اللغات الإنكليزية، والأردية، والتركية، بالإضافة إلى اللغتين العربية والفارسية، ولكن عدم الممارسة والمشاكل التي أناخت علي بكلا كليهما أنستني أكثر الكلمات من اللغات الثلاث الأول، فلا أحفظ الآن منها إلا شيئاً قليلاً، وبالجملة فلعلي أتمكن أن أقول أن الأساتذة التي تتلمذت عليهم أكثر من مائة أستاذ.

ملكة الحفظ

وقد وفقني الله سبحانه لحفظ القرآن الحكيم وقسم من نهج البلاغة وبعض أدعية الصحيفة السجادية وجمهرة من الادعية، والأحاديث ومسائل الفقه الإسلامي، كما حفظت ألفية بن مالك، و (كتاب السيوطي الذي هو شرح على الألفية)، و (متن المطول في البلاغة) و (متن التهذيب في المنطق) وأشعار المنطق والحكمة للسبزواري ومجموعة من مقامات الحريري وغير ذلك، لكن لكثرة قرائتي وبحثي، أصبت بالتهاب في الحنجرة ونصحتي الأطباء على أثرها بترك القراءة، وحيث اضطررت إلى الأخذ بنصيحتهم نسيت كثيراً مما حفظت، فما بقيت منها في ذاكرتي إلا كما تبقى الأطلال من المدن.

ثقافة المجالس

كما كنت مولعاً بالحضور في المجالس الحسينية، والتي هي كثيرة جداً في كر بلاء، ولعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت، أن معدل المجالس التي كنت أحضرها كل سنة، يقرب من ألف مجلس، وحيث أن المجالس كانت متنوعة مختلفة من حيث المادّة والمناسبة والصورة، فقد شحنتني بمادة غزيرة متنوعة، كما أطلعت بواسطة على الحياة العامة، حيث أنها بسبب ما تلقى فيها من التواريخ والقصص والحكايات والنكت ترى فيها الكثير الكثير من مختلف الثقافات والأمم والأجيال والعادات والتقاليد، بالإضافة إلى أن حضور الإنسان في كل بيت مجمع للاستماع إلى الخطيب، يؤدي إلى اتصاله بمختلف أفراد الناس، من الكبير إلى الصغير ومن الشريف إلى الوضيع، و من العالم إلى الجاهل وهكذا سائر أصناف الناس، وهذا الاتصال مما يزيد في ثقافة الإنسان ويعرفه كيف ينبغي أن يعيش، وبهذه المناسبة فإن ثقافة أهالي كر بلاء المقدسة رفيعة جداً، وأعني الثقافة العامة لا ثقافة الشهادات، فآكثر أهالي كر بلاء المقدسة حتى الصغار يعرفون الشيء الكثير عن الخلفاء الذين تسلموا مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنهم يعرفون كيف يعيشون عيشة الكرامة والحرية والرفاه وكيف يعاملون أهل البلاد الأخرى، على أساس المصلحة والكرامة المتبادلتين

وكذلك يعرفون المسائل الشرعية، وشيئاً من تفسير القرآن الحكيم، وخطب نهج البلاغة، وأدعية الإمام السجاد، وسائر الأدعية والأعمال المستحبة، والأخلاق والآداب.

مدينة العلم والعلماء

مدينة الزيارة

ثم إنه بحكم كون كربلاء المقدسة مركزاً هاماً من مراكز الزيارة، لأنها مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) ومضاجع آله الأطهار وحججه الأخيار، فإن الوفود تنهال عليهم عدة مرات كل عام في مناسبات معينة، مثل زيارة عاشوراء، والأربعين، وأول رجب، والنصف من رجب، والنصف من شعبان، وأول رمضان، وليالي الإحياء من شهر رمضان المبارك، وأيام عيد الفطر، ويوم عرفة، وعيد الأضحى، وأحياناً يصل عدد هؤلاء الوفود إلى المليون كما في زيارة الأربعين، هذا بالإضافة إلى عيد يوم النيروز، وليالي الجمعة، وفي مناسبات زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن الوفود تجعل طريقها إلى النجف من كربلاء ذهاباً وإياباً أو في كلتا الحالتين، وكذلك في أيام الحج حيث وفود الأتراك والأكراد والهند والباكستان والأفغان وإيران وسوريا ولبنان تتقاطر على كربلاء إما للزيارة وإما حيث أنها طريق طبيعي لحجاج البر، وهذا الاتصال الدائم بمختلف الجنسيات واللغات والثقافات رفع من ثقافة كربلاء كما رفع من آداب الأهالي، وهناك العديد من الأهالي يعرفون اللغات المتعددة أو لغتين على الأقل، ولذا فإن الوارد إلى كربلاء المقدسة يدهش لما يراه من الآداب والمعرفة ولما يلمسه من معرفة الأهالي بأمور مختلف الجنسيات وقدرتهم على تلبية ما يتطلبه الزائر من الكيفية والمزايا.

المدينة الملجأ

ومناسبة تواتر الوفود إلى كربلاء المقدسة، فإن أهالي البلاد يشكلون أكبر عدد ممكن من الجنسيات، إذ أن الكثير من الزائرين مقيمين في كربلاء، فيختلطون بالأهالي، وبقائهم، إما لأجل مجاورة الإمام الحسين (عليه السلام)، أو لأجل الفرار من أماكن الضغط في الأقطار المجاورة، وإما لأجل التجارة، حيث تشكل كربلاء سوقاً راجحاً، وأما لأجل أن

أهالي كربلاء تزوجوا بعض كريمات الزائرين، ولذا فإن أهالي كربلاء يشكلون من العراقي، واللبناني، والخليجي، والسعودي، والهندي والباكستاني، والإيراني، والأفغاني، والأفريقي، والتركي، والسوري، وحتى المغربي.. وغيرهم، كما أن هناك مناسبة أخرى توجب بقاء غير الكر بلائي في كربلاء المقدسة، وهي مناسبة كون كربلاء مركزاً علمياً في العراق، فإن في كربلاء جامعة علمية كبيرة، تحتوي على زهاء ألف طالب علم دين، أخذاً من المجتهد إلى الطالب البدائي، وفيهم العالم والخطيب والمؤلف والشاعر والكاتب والواعظ والمرجع وغيرهم، وهؤلاء نازحون من مختلف بلاد العراق، ومن مختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

نواة الحوزة العلمية

وينبغي أن نتكلم عن الحوزة العلمية الدينية، في كربلاء، فكر بلاء المقدسة، منذ ألف سنة تحتوي على الحوزة العلمية الدينية الشيعية، فقطبها كبار رجال العلم والدين، وأعظم المراجع والفقهاء، ومشاهير الأدباء والكتاب، والآن توجد فيها أضرحة جملة منهم، مثل ابن حمزة صاحب الوسيلة الذي كان من تلاميذ الشيخ الطوسي والكفعمي — على أحد القولين — والآغا باقر البهبهاني، وصاحب الفصول، وصاحب الضوابط، وصاحب الرياض، وصاحب البرهان القاطع في الفقه، وشريف العلماء، وابن فهد الحلبي، والشيخ محمد تقي الشيرازي، والسيد ميرزا هادي الخراساني، ووالدي (رحمه الله)، وغيرهم وغيرهم، كما أن فيها عدداً من مدارس علمية ودينية، ومدرسة أهلية باسم مدرسة الإمام الصادق، ومدارس ستة لحفظ القرآن الحكيم، وعدة جمعيات خيرية، وعدداً كبيراً من المكتبات، سواء منها ما هي للمطالعة أو ما هي للتجارة، كما أن فيها مطابع ومؤسسات إسلامية تربو على مائة مؤسسة منها ثقافية، ومنها صحية، ومنها اجتماعية ومنها غير ذلك.

مدينة الخطباء

وباعتبار كون كربلاء مرقداً للإمام الحسين (عليه السلام)، فهي مصدر من مصادر خطباء الشيعة، وفيها أكثر من مائتي خطيب، يرقون المنبر في كربلاء، وفي غيرها من البلاد في مختلف المناسبات، وفيها هيئات للخطابة والإرشاد. ثم بمناسبة كون كربلاء مزاراً لمختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ومناسبة وجود الحوزة العلمية الدينية في كربلاء، ومناسبة تخريج كربلاء للخطباء، واحتياج البلاد إليها في استيراد الخطيب منها، فإن الكتب لها سوق رائج في هذا البلد، والغالب على بيوتها أنها تحتوي على مكتبة، أو كتب، مما رفع - بدوره ثقافة الأهالي، كما أن كثيراً من المساجد في كربلاء، تحتوي على المكتبة.

الهيئات

وهناك شيء آخر تمتاز بها كربلاء المقدسة، على كثير من المدن، وهي الهيئات، ففي كربلاء تجتمع مختلف الهيئات التي تعمل لصالح الدنيا والدين، والهيئة عبارة عن جماعة من الناس، يشكلون وحدة، لأجل إنجاز مهمة دينية أو دنيوية، مثلاً هناك هيئة لأجل زواج العزاب، وهيئة لأجل التبليغ السيار في مختلف البلاد والقرى، وهيئة لأجل إدارة المستوصف الصحي، وهيئة لأجل بعث الكتب إلى مختلف بلاد العالم، تسمى برابطة النشر الإسلامي، وهيئة لأجل مساعدة الفقراء والمعوزين، إلى غيرها، كما أن هناك هيئات كثيرة يصل عددها إلى مائة هيئة، لأجل جمع الشباب، أخذاً من الابتدائية إلى خريجي الجامعة، وكل هيئة لها اسم خاص، مثل هيئة الرسول الأعظم، وهيئة الإمام علي، والهيئة الجعفرية، والهيئة الحسينية وغيرها، وبعض هذه الهيئات تضم تسعمائة شاب، وبعضها أقل، وبعضها أكثر، وكل هيئة من هذه الهيئات تجتمع في الأسبوع مرة في النهار أو في الليل، ومنهجهم قراءة القرآن أولاً، ثم إلقاء كلمات إسلامية، ومناقشات في مختلف الشؤون الدينية والدنيوية، كما أن في كربلاء المقدسة قسماً آخر من الهيئات، وهي الهيئات العزائية، التي هدفها إقامة عزاء الإمام الحسين في وقت من أوقات السنة وهي كثيرة أيضاً، أمثال الهيئة الحسينية، الهيئة الفاطمية، والهيئة الحيدرية وهيئة شباب الطف وغيرها.

التأسيس المدرسي

ولا بأس إذا عدت إلى استعادة شيء من ذكرياتي، عطفأعلى ما سبق — حيث أنها
تعكس أيضاً، جانبا من صور كربلاء المقدسة، فقد قمت — ومنذ عشرين سنة تقريباً —
بأول باكورة عمالي في حقل الخدمة العامة، بمعونة جملة من علمائنا الاعلام والتجار
المحترمين، بتأسيس مدرسة الإمام الصادق الأهلية في كربلاء المقدسة، وحيث أن التأسيس
كان أول عملنا في مثل هذا الحقل، فقد واجهتنا جميعاً صعوبات مرهقة، فالحكومة لم
تمنحنا الإجازة لفتح المدرسة، إلا بعد جهد طويل، ومراجعات كثيرة، طالت ستة أشهر
وأكثر، وتأمين المال للمدرسة بصورة مستمرة، حيث جعلناها مجانية لكل من يرغب،
وعدم معرفتنا بهذا اللون من المشروع، وما يتطلبه من برامج وأنظمة، لأننا لم نكن أتقناها
من ذي قبل، وخصوصاً حيث كان الواجب يحتم علينا أن نطبع المدرسة بطابع الدين
وخاصة في البرامج، حيث أن هدفنا كان ذلك، وفي نفس الوقت، كان لابد للمدرسة أن
تساير البرنامج الحكومي الذي لم يحفل بالدين، وكنا مضطرين إلى اتباعه حتى لاتغلق
المدرسة، بجرة قلم.

[١] هجر: الهجرُ: ضد الوصل، هَجَرَهُ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا: صَرَمَهُ، وَهَمَّا
يَهْتَجِرَانِ وَيَتَهَجِرَانِ، وَالاسْمُ الْهَجْرَةُ.

النشاط الثقافي والسياسي للمدينة

مشكلة الحكومات

أن أهم مشكلة تعانيها البلاد الإسلامية عامة هي مشكلة الحكومة والشعب، فالحكومات غالباً لا تلتزم بالإسلام منهجاً ونظاماً، والشعوب غالباً تلتزم بالإسلام، ولذا فإن هناك تدافعاً هائلاً بين الجهتين، ينتهي غالباً بالمظاهرات، والثورات، وأحياناً بالحروب الأهلية، وإذا تمت الثورة ظهر التدافع من جديد وبعظهر جديد، صحيح أن الأطماع والحكومات الكافرة وراء الثورات، ولكن وقودها الوحيد هو التدافع الذي ذكرت، فإنك تجد أن أكثر قطاعات الشعب من كل بلد إسلامي يتشردون من القوانين المخالفة للإسلام، وترى أن الحكومة المطبقة لهذه القوانين، حكومة غير إسلامية لقوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) بينما ترى غالب الحكومات مصرة أشد الإصرار على تطبيق هذه القوانين، والذي أدى أن لا يجد الاستقرار سبيلاً إلى بلاد الإسلام، إلا بعد أن تعود الحكومات إلى العمل بالإسلام شريعة ونظاماً.

المهمة الناجحة

وبعد تلك الباكورة التي تكلفت بالنجاح، بأن فتحت مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) والتي عاشت إلى الآن — حال كتابة الكتاب ٢٣ / رمضان ٩١١هـ — قمنا نحن المؤسسين لمدرسة الإمام الصادق، بفتح أول مكتبة أهلية عامة في كربلاء المقدسة لأجل المطالعة، في المدرسة الهندية الكبرى، والتي سميت (بالمكتبة الجعفرية) والتي عاشت إلى الآن تؤدي رسالتها التثقيفية، كما شرعنا بتأسيس مجلة تجيب على كل الأسئلة الإسلامية التي توجه إليها، وسميت المجلة باسم (أجوبة المسائل الدينية) والتي عاشت أيضاً إلى الآن، وقد أثار إصدار هذه المجلة موجة من الشكوك وعلامات الاستفهام، كان ورائها بعض

الأغراض، لكن المجلة شقت طريقها إلى الحياة، حيث جعلت الشكوك والأوهام تذوب مع الأيام أمام الشمس، كما شرعنا في تأسيس جمعية باسم (الجمعية الخيرية الإسلامية) ولاقينا أيضاً في تأسيسها الرهق لنفس السبب الذي لاقيناه في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) أما النواة المركزية لهذه المؤسسات الأربع، والتي تعد باكورة أعمالنا، فقد كانوا جملة من رجال الدين، إلى جانب بعض الأخيار من التجار وشباب مثقف من المدارس الرسمية، وحيث أني لا أعلم ما إذا يرضى أولئك بذكر أسمائهم في هذا الكتاب، لظروف خاصة يعيشونها الآن، أكتفي بذكر أسماء رجال الدين الذين كنت عضواً معهم في هذه المؤسسات وهم الشيخ جعفر الرشتي، والسيد محمد صادق القزويني، والشيخ محمد الكلباسي، والسيد عبد الرضا الشهرستاني، والسيد مرتضى القزويني، وهناك كانوا آخرين من رجال الدين آزرونا في هذه المشاريع، لكنهم كانوا في الدرجة الثانية أو كانوا مربوطين ببعض المشاريع دون بعضها.

الانتشار الثقافي المبارك

وهذه المشاريع الأربع، التي لاقت من النجاح والازدهار والتقدم، فتحت الطريق أمام سيل من المشاريع، التي قمنا نحن أو قام غيرنا بتأسيسها لا في كربلاء المقدسة فحسب بل في سائر المدن والبلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وحيث أنا الآن بصدد عرض شيء من ذكرياتي في كربلاء المقدسة، نكتفي بالقول: لقد وفق الله سبحانه وتعالى جماعة من أهالي الخير والإحسان إلى فتح مشاريع كثيرة، كنت أنا عضواً في جملة منها، وكإشارة إلى هذه المشاريع، يكفي الإنسان أن يعلم أن مؤسسة واحدة، هي مؤسسة حفاظ القرآن الحكيم، كان لها ثلاثون مؤسسة، تزاوّل مختلف أنواع النشاط الثقافي، والصحي، والاجتماعي، والتربوي، والصناعي، وغيرها، وقد ذكر قسم من تفاصيل ذلك في كتاب خاص باسم (مدارس حفاظ القرآن الحكيم) كما ألمع إلى هذه المؤسسات، في (التقويم الإسلامي) الذي كان يصدر عن مدارس الحفاظ، مع العلم أن النشاطات التي كانت تزاوّلها مدارس الحفاظ كانت أكثر، ولعلها كانت تبلغ الخمسين، أمثال (النشرة المدرسية) و (إعلان المناسبات) وغيرها. كما أن مؤسسة أخرى في كربلاء المقدسة وهي مؤسسة

(طبع ونشر الكتب الدينية) كان لها من الفروع أكثر من سبعين فرعاً، فإذا ضمت هاتين المؤسساتين إلى مؤسسة (هيئات الشباب) التي ألعنا إليها سابقاً، يجد الإنسان، أن ثلاث مؤسسات فقط كانت تدير ما يقارب مائتي وخمسين فرعاً، ناهيك بسائر المؤسسات، التي منها رابطة النشر الإسلامي، والتي أسسها السيد محمد كاظم القزويني، لاجل تنوير الرأي العام العالمي بالإسلام وأهل البيت عليهم السلام، والتي تشتري الكتب أو تطبعها بنفسها، لتوزعها على مختلف بلاد العالم مجاناً، وقد تمكنت هذه المؤسسة الواحدة من نشر ما يقارب من نصف مليون كتاب في مدة لاتزيد عن عشر سنوات، وفيها الكتب الكبيرة ذو المجلدات العديدة، والكتاب الصغير ذو الصفحات المعدودة.

كما أن كربلاء المقدسة أخذت تصدر مجلات شهرية كثيرة أهمها: (القرآن يهدي) و (أعلام الشيعة) و (أجوبة المسائل الدينية) و (منابع الثقافة الإسلامية) و (مبادئ الإسلام) Islamic Rudiments وهذه باللغة الانكليزية و (صوت المبلغين) و (صوت العترة) و (الأخلاق والآداب) و (ذكريات المعصومين) و (نداء الإسلام) و (صوت شباب التوحيد) وإذا أراد الإنسان أن يعلم مدى خدمة هذه المجلات في البلاد، فيكفيه أن يعلم أن مجلة واحدة منها وهي (منابع الثقافة) نشرت في مدة عشر سنوات، أكثر من نصف مليون كتاب... وكانت في كربلاء المقدسة حركة ثقافية أخرى، هي حركة نشر الكتب المجانية، وقد كنت أنا أدير دفتر هذه المؤسسة، ومما يصلني من التبرعات والحقوق، وهذه المؤسسة تمكنت في ظرف عشر سنوات تقريباً. أن تنشر قرابة خمسة ملايين كتاب في شتى العلوم ومختلف المجالات، ومختلف البلاد: العراق، وإيران، ولبنان، وبلاد الخليج، والهند والباكستان، والأفغان، والسعودية، وتركيا، وأفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، كما أنها كانت بمختلف اللغات والتي بلغت خمس عشرة لغة. منها الانكليزية والفرنسية والتركية، ويكفيك أن تعلم أن هذه المؤسسة كانت تنشر في بعض الزيارات أكثر من مائة ألف كتاب، وكانت في كربلاء المقدسة مؤسسة ثقافية أخرى، هي مؤسسة نشر المنشير، لمختلف المناسبات كالأعياد، وأيام الوفيات، وشهر رمضان وأيام الحج وما إلى ذلك، وكانت في كربلاء المقدسة مؤسسة ثقافية أخرى باسم شباب التبليغ كانت تطبع الكتب وتنشرها بيعاً أو مجاناً، وقد تمكنت هذه المؤسسة في خلال ثلاث سنوات، أن

تطبع وتوزع ما يقارب المائة ألف كتاب إلى غيرها من المؤسسات، ولعل الإنسان تأخذه الدهشة، إذا تصور هذه الأرقام الهائلة، والمؤسسات الكثيرة، لكن إذا علم الإنسان مدى طيبة نفوس أهالي كربلاء المقدسة وعلم مدى حبهم للعلم والدين ومدى اهتمامهم بنشر الإسلام وولائهم لأهل البيت عليهم السلام، رأى أن الأمر طبيعي بالنسبة لهم.

بين التأليف والدراسة

وقد وفقت أنا مدة كوني في كربلاء المقدسة، أن أولف ما يقارب الثلاثمائة كتاب، بين كبير يقع في خمسمائة صفحة، وبين صغير يقع في صفحات وطبع منها إلى الآن أكثر من مائة وعشرين كتاباً ترجم بعضها إلى عدة لغات [١] وهذا الأمر أ حسبه منحة من الإمام الحسين (عليه السلام)، ولطفاً منه بالنسبة إلي.

كما أني منذ أواخر حياة والدي (ر ه) كنت أقيم الصلاة الجماعة بأمره، في مكانه في الجانب الغربي من صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وقبل إقامتي للصلاة كنت أدرس (درس الخارج) [٢]. فكنت أدرس الفقه صباحاً، والأصول عصرًا، وأحياناً كنت أدرس فقهاً ثانياً عصرًا، وقد درست في هذه المدة (دورتين) في أصول الفقه، وكتاب (الطهارة، والصلاة، والخمس، والمكاسب، والصوم، والنكاح) في الفقه، وبعد انتقال الوالد (ر ه) إلى جوار رحمة ربه، وفقني الله لأن أقوم بأعباء الحوزة العلمية في كربلاء وإدارة شؤون معاشها وأمورها الأخيرة ثم أضفت إلى ذلك قسمًا من النجف الأشرف والكاظمية وسامراء وبغداد، وبعض بلاد لبنان، وبعض بلاد إيران، وبعض بلاد باكستان، كل ذلك بفضل سبحانه، وبهمة أهالي كربلاء المقدسة، الذين آزروني أحسن المؤازرة، صحيح أن المال لم يكن كله من كربلاء وحدها، وإنما من مختلف البلاد التي يتواجد فيها المسلمون، ولكن كان لكربلاء المقدسة حصة المؤازرة والمساعدة، وقد خرجت رسالتي العملية، وذلك تعليقاً على رسالة المرحوم الوالد (ر ه) في سنة ١٣٨٢ ولا بأس أن أذكر هنا موضوعاً هو: أنه جرت منذ زمن الوالد (ر ه) عادة جميلة هي (امتحان طلاب العلوم الدينية).

المعارك السياسية

ثم أني قد خضت المعارك السياسية، سواء في زمن الوالد أو بعده، لكن الخوض كان بقصد التقويم والإرشاد والإصلاح، والإيقاظ، فكنت أتصل بالمسؤولين الكبار مباشرة، بواسطة أو وفوداً أو برقيات أو رسائل، سواء من ذلك مسؤولي العراق وغيرهم، ربما لو وفقني الله لجمع تفاصيلها لصار مجلداً ضخماً، وقد لقيت من هذا العمل شدائد وصعوبات، لكني لم أبعدها. وكان علماء كربلاء المقدسة، بصورة عامة، يساعدوني في هذه المعارك، فإنهم رحم الله الأموات منهم، وحفظ الأحياء، أبدوا أفضل أنواع البسالة والشهامة في الذب عن كيان الإسلام ورد غائلة الكفر والنفاق عن حريمه، كما أنه كان للأخ السيد حسن الشيرازي نصيب وافر في هذا الحقل، ولاقي بسبب ذلك مصائب معروفة.

مناظرات مع أهل الأديان

كما أن الله من علي في مدة إقامتي في كربلاء المقدسة، بإسلام وهداية جمع من مختلف الإنحرفات على يدي وكان فيهم (المسيحي) و (الصابئي) و (علي اللاهي) و (الملحد) و (المنحرف عن أهل البيت) وكان فيهم العراقي والإنكليزي والإيطالي والألماني والأمريكي، وغيرهم، لكن ظروفًا خاصة حالت دون توسعة هذا النشاط، وإلا فإني أرى أن الإسلام والاستقامة، مما يقبلهما كل الناس، بإستثناء المعاند وهم ثلة قليلة جداً، ثم أنه قد جرت بيني وبين جماعة منهم مناقشات جميلة، لا بأس أن أنقل إحدى تلك المناقشات، ليعلم الناس كيف يفكر هؤلاء قال لي أحدهم: بأي دليل تقولون بنبوة محمد؟

قلت: بنفس الدليل الذي تقولون به للاستدلال على نبوة المسيح.

قال: دليلنا معاجز المسيح.

قلت: دليلنا أيضاً معاجز محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: من أين تثبتون أن لمحمد كانت معاجز؟

قلت: أنتم من أين تثبتون أنه كانت لعيسى معاجز؟

قال: بالتواتر.

قلت نحن أيضاً تثبته بالتواتر..

قال: وما الحاجة إلى محمد بعد رسالة المسيح!

قلت: وما الحاجة إلى رسالة المسيح بعد رسالة موسى؟

قال: لكن محمداً كان يتزوج كثيراً.

قلت: ومن أعلمك فعله لو لم يرفع عيسى كان يتزوج أيضاً ثم إذا لم يتزوج الصالحون، أليس معنى ذلك انقطاع نسل الصالحين الذي هو أفضل نسل؟

قال: إني لا أتمكن أن أسلم لأن معنى ذلك أي لو أسلمت. أهملت المسيح ومريم.

قلت: بالعكس إنك لو أسلمت يجب عليك أن تحترم المسيح احتراماً أكثر، وقد أنزل الله سبحانه في القرآن الكريم سورة باسم (سورة مريم) وأطرى على المسيح ومريم إطرأً بالغاً، ثم قرأت له بعض الآيات في هذا الشأن وأريته السورة، فتعجب الرجل تعجباً بالغاً.

وقال: لم أكن أعلم أن للمسيح هذا الشأن في الإسلام، ولو أن الإسلام لا يأمرني بإهمال المسيح وأمه فأنا مستعد أن أسلم.

فقلت له: إذا تبين لك الحق، فأسلم.. وتردد الرجل لحظة، ولكنه أسلم أخيراً-

والحمد لله-

المشاركة الوطنية

وقد شاركت كربلاء المقدسة في قضية فلسطين، ونكبة حزيران، فقدمت خيرة شبابه فدايين في الجبهة، بطوع رغبتهم، وبمحض إرادتهم، ولأجل انتصار كلمة الحق على الباطل، واسترجاع أراضي الإسلام من أعدائه، بالإضافة إلى المشاركة الإعلامية، وذلك بطبع المناشير وإقامة الاحتفالات بهذا الشأن، وطبع الكتب، صحيح أي كنت قد كتبت (هؤلاء اليهود) وطبعته قبل النكسة، لكن كربلاء أعادت طبعها بعد النكسة أيضاً، ولما حرفت اليهود القرآن الكريم، ووزعته في إفريقيا، استنكرت أوساط كربلاء هذا العمل، وأبرقوا إلى المسؤولين حول هذا الشأن، كما أن مجلة (منابع الثقافة) وبعض المجلات الأخرى، طبعت مناشير حول هذا التحريف، وأرسلتها إلى مختلف بلاد العالم، وبعد النكسة، ساعدت كربلاء النازحين والفدائيين بكميات كبيرة من المساعدات، وأرسلتها مع أمناء من مدارس الحفاظ والخطباء ومن التجار المحترمين، كما أن كربلاء المقدسة

أقامت سوقاً خيرية في بناية المكتبة المركزية في شارع الإمام علي، لإغاثة الفدائيين والنازحين، وكذلك تبرع تجار كربلاء المقدسة، بمبالغ محترمة، لأجل ذلك، وأرسلوها بواسطة متصرف اللواء إلى وزارة الدفاع لترسلها إلى الفدائيين والنازحين إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة التي قاموا بها في هذا المجال.

ولا غرابة في الأمر، فإن كربلاء المقدسة، بلد التضحية والفداء، منذ أن استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام)، وقبل نصف قرن فجرت كربلاء ثورة العشرين، بقيادة المرجع الإسلامي الأعلى المجاهد الحاج الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي، فقد حارب العراق تحت لواء هذا العالم الديني ضد المستعمرين، حرباً لا هوادة فيها، وبذل الكثير حتى انتزع استقلاله من الأجنبي، في قضايا مفصلة، مذكورة في كتاب (الحقائق الناصعة) وفي كتاب (كربلاء تفجر ثورة العشرين).

مقاومة الانحراف

وفي إبان المد الأحمر بعد ثورة (١٤) تموز كانت كربلاء تقاوم الإلحاد والانحراف، بكل صلابة وقوة، ووقفت الموقف المشرف الذي بسببه انحسر المد عن كل العراق، وحيث أن آية الله الحكيم (ر ه) أظهد في النجف الأشرف بسبب بعض الأشرار، أرسل والدي (ر ه) إليه بعض ذويه، يدعوه للزوح إلى كربلاء والإقامة فيها، حتى يفرج الله سبحانه، وليي السيد الحكيم دعوة الوالد ولما جاء إلى كربلاء، قدم الوالد مكان صلاته في صحن الحسين (عليه السلام) إليه، حيث صلى هناك، واحتفى الكربلائيون الكرام بالسيد، وأخص بالذكر منهم خدمة الروضتين المطهرتين، فقد أبدوا جزاهم الله خير الجزاء كل بسالة وشهامة، وأذكر منهم السادة الأعزاء آل زيني، وآل الشروفي، وآل طعمة، والسادة الأفاضل آل ثابت، والسادة الأفاضل آل نصر الله، وغيرهم وغيرهم، حتى هدأت العاصفة ورجع السيد الحكيم إلى النجف الأشرف، ولم يزل يشكر الكربلائين إلى حين وفاته.

احتفالات المدينة

وفي ذلك الحين حين (المد الأحمر) أقام أهالي كربلاء المقدسة الاحتفال الفريد من نوعه في مولد الإمام أمير المؤمنين، ثالث عشر من رجب، ولعل الاحتفال بهذه المادية والمعنوية الضخمة، لم يكن ممكناً لولا سهر المدينة وجهدها المتواصل طيلة خمسة أشهر، ابتداءً من ربيع الأول وإلى آخر رجب، - وإن كانت قمة الاحتفال في الثالث عشر - فقد نقلت أخبار الاحتفال الإذاعات العالمية عامة وقدرت حملة من الإذاعات مصارف الاحتفال بخمسة ملايين دينار - والمراد بذلك، طبعاً، المال والجهد معاً - كل ذلك قام به أهالي كربلاء الكرام، وهذا القدر يكفي لأن يعرف الإنسان كم كان جمال الاحتفال الذي عم كل المدينة، والطرق الموصلة إليه، كما أنه يكفي لمعرفة ضخامة الاحتفال المعنوية من الناحيتين الدينية والسياسية - أن يعلم الإنسان أن من المشتركين في الاحتفال، والذين كانت لهم الكلمات، كان السيد الوالد (رحمه الله)، والسيد الحكيم (رحمه الله) ورئيس مجلس السيادة، ورئيس الوزراء، ونظرة خاطفة إلى كتاب (المهرجان العالمي) الذي طبع بهذا الشأن تكفي لأن يعلم الإنسان، مدى أهمية هذا الاحتفال الذي قام على أثره احتفال النجف الأشرف، والحلة، وبغداد، والكاظمية، وسامراء، وبعض البلدان الأخرى، والذي يقام إلى هذا العام، ففي كل سنة يقام الاحتفال في كربلاء المقدسة على غرار ذلك الاحتفال في (١٣ رجب) وإن لم تبلغ الاحتفالات المتأخرة تلك الضخامة.. ونرجو أن يأتي يوم يجمع بعض أدباء كربلاء المقدسة كتاباً بشأن هذه الاحتفالات، حتى يستفيد العالمان الديني والأدبي من النثر والشعر - الراقين - الذين ألقيا في الاحتفال.

التقدير السياسي إزاء القمع

وهنا سؤال يفرض نفسه، أنه إذا كان الكربلائيون بهذه المهمة الرفيعة والمواقف الصلبة أمام القوى الكافرة والغازية، فلماذا تقاعسوا عن نصره المرجعين الدينين الكبيرين السيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد حسن النائيني وزملائهما حين أبعدهم السلطات عن كربلاء المقدسة؟ ولماذا لم ينبس أحد بنت شفة في ذلك الوقت العصيب؟ والجواب على ما بينه أحد علماء كربلاء وكان مسفراً أيضاً برفقة السيد الشيخ، قال: إن السلطة أرهبت الناس أشد الإرهاب، حتى أن أحداً لم يجرأ على المقاومة، ومن المعلوم ما

يكون مفعول الإرهاب إذا بلغ مداه ثم أن المقاومة تحتاج إلى القيادة، فإذا لم يرض القائد نفسه، أن يقاوم الجماهير، كانت الجماهير معذورة، إن القيادة في ذلك اليوم كانت للسيد، والجماهير كانت مستعدة للتضحية، لكن القائد لم يرض في التضحية مصلحة للإسلام، حيث أن الأمر لم يعدو التسفير إلى إيران، والناس بعد لم يندمل جرحهم، عن ثورة العشرين، فلم يشأ القائد أن يزجهم في أتون المقاومة، مما قد يؤدي إلى حرب أهلية.. وقد جربت صدى هذا الكلام، ففي أيام المد الأحمر — بعد قيام الجمهورية بقليل — وحيث كنا نكافح كفاحاً سليماً، لأجل إرجاع الأمور إلى نصابها، ولوضع حد للتطرف، جائي — أنا بالذات — بعض شيوخ الفرات الأوسط، وأبدى إستعداده لتزويدنا نحن المكافحين بالسلاح اللازم لأجل الكفاح المسلح، لكنني اعتذرت عنه، بان الأمر لم يصل إلى هذا الحد. وإن خوضنا هذه المعركة في هذا المستوى يؤدي إلى نشوب حرب أهلية، تكثر فيها التضحيات على أقل تقدير.. ومرة ثانية في إبان ذلك المد جئنا من لديهم الرجال والسلاح يبدون استعدادهم لجعل ما عندهم من سلاح ورجال، تحت تصرفنا، إذا أردنا المكافحة المسلحة، وكان جوابنا لهؤلاء نفس جوابنا لأولئك الشيوخ، وقد تقدم أهالي كربلاء المقدسة، إلي — في جملة من المناسبات الحرجة — للتظاهر والإضراب، واستخدام السلاح والمتفجرات لكنني رأيت أن الأمر لا يستوجب ذلك، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فإن الإقدام في أمر لا تعلم عاقبته ليس من الحزم، وكما يقول الشاعر (وأحزم الناس من لو يرتكب عملاً) (حتى يفكر ما تجني عواقبه).. إن القضايا المذكورة، والتي كنت أنا طرفاً فيها أُلقت بعض الضوء على سبب سكوت أهالي كربلاء، عن تسفير أعلام العلم، كما حدثني بذلك العالم الأنف الذكر.

حب العلم والعلماء

إن أهالي كربلاء المقدسة — بنظرهم، وبحكم كونهم يجوار الإمام الحسين (عليه السلام) وبحكم شلال التوجيه الديني، الذي يتلقونه من الحوزة العلمية، والخطباء — يحبون العلم والعلماء ويعظمون الدين وأهله، ويبدلون في سبيل ذلك الكثير الكثير من المال

والوقت والنشاط، ولذا تجد المجالس الدينية عامرة، في كربلاء المقدسة بشكل يقل نظيرها في سائر البلاد، والمجالس الدينية عبارة عن:

- ١ — الاحتفالات الدينية في مناسبات المواليد وما أشبهه.
 - ٢ — ومجالس العزاء والوعظ، التي تعمر كربلاء طول السنة.
 - ٣ — الفواتح التي تقام باسم الأموات ولأجل الثواب.
 - ٤ — والمجالس التي تعقد لتوديع واستقبال العلماء والحجاج.
 - ٥ — والاحتفالات التي تقام بمناسبة تكريم إنسان كبير عالم أو خطيب أو ما أشبهه.
- [١] بلغت اللغات التي ترجم إليها مؤلفات الإمام الشيرازي حتى الآن عشر لغات تجدها مع أسماء مؤلفاته المطبوعة على غلاف رسالته العملية (أحكام الإسلام).
- [٢] (درس الخارج) هو أعلى مستويات الدراسات الدينية التي يحضرها رواد الاجتهاد، والإمام الشيرازي يدرس (الخارج) منذ خمسة عشر عاماً.

النشاطات الأخرى للمدينة

الإطعام

كما أن أهالي كربلاء المقدسة، يبذلون كثيراً في الإطعام، في مختلف المناسبات بشكل عام فريد، فلهم في كل مناسبة ضيافات ضخمة، تكلف أموالاً طائلة، في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، وفي أيام مواليد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والزهراء والأئمة الطاهرين وفي أيام وفياتهم، وبمناسبة زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) من محرم، وصفر، ورجب وشعبان، وذي الحجة، وغيرها. فمثلاً يطعمون أكثر من نصف مليون إنسان في مناسبة عاشوراء كما أنهم يضيفون بالمناسبات الشخصية، كمناسبة (الاختتان) و (الزفاف) و (سفر الحاج) و (وقدوم الحاج) و (موت أحدهم) و (موت عالم أو خطيب) و (قدوم عالم أو خطيب) وبمناسبة (ختم مجلس عزاء الحسين) وما أشبه، وفي الحقيقة، لو تجمع هذه الضيافات، لتشكل شيئاً هائلاً، لا يكاد يصدق.

مواكب الحج والزيارة

كما أنهم يواظبون على الحج، وعلى زيارات الأئمة الطاهرين، وأولادهم مواظبة كبيرة، بحيث لا يكاد يصدقها إلا من يعايشهم، وفي أيام الحج كربلاء موسم متحرك من أقصاها إلى أقصاها، كما أن في بعض الزيارات، تغلق الحوانيت بصورة عامة، ولأهالي كربلاء المقدسة مواكب خاصة للحج، ولزيارة الإمام الرضا، ولزيارة الإمام أمير المؤمنين، ولزيارة الإمامين الكاظمين ولزيارة سامراء ولزيارة السيدة زينب، كما أنهم يزورون سامراء في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك بشكل جماعي ومنتظم وقد هيء لهم بعض المحسنين طعام الفطور هناك، فيشكل ذلك في سامراء كل ليلة، ضيافة حافلة تنبض بالحركة والنشاط.

النشاط الاقتصادي

أما موارد اقتصاد أهالي كربلاء المقدسة، والذين يعتمدون عليه في هذا البذل الكبير طيلة السنة... فهي كما يلي: -

١ — التجارة: فكربلاء المقدسة سوق تجاري رابح، باعتبار القرى والعشائر المحيطة بها، وباعتبار كونها مقصد الوفود والزوار.

٢ — الصناعة: فكربلاء المقدسة تعد بلدة صناعية باعتبار كثرة الصناعات اليدوية الخفيفة فيها.

٣ — الزراعة: فكربلاء واحة خصبة وفيها من الثمار الشيء الكثير الكثير وهي تزود كثيراً من البلدان بالثمار وبمنتجات الأشجار، أمثال ما يؤخذ من النخل مثل المروحة، والسلال والخوان وغيرها.

٤ — واردات أهل العلم: فإن البلاد تبعث بحقوقها الشرعية من الخمس والزكاة وما أشبه إلى كربلاء حيث أن فيها حوزة علمية قوية، كما قدمنا، بالإضافة إلى أن الخطباء الكثيرين الذين يخرجون إلى البلاد بقصد الوعظ والإرشاد، يدرون على كربلاء مبالغ لا يستهان بها.

٥ — الزوار والوفود: فإن كربلاء المقدسة مقصد للزائرين طول السنة، وهم يدرون على كربلاء أموالاً كبيرة وكثيرة، فكربلاء كالبلدان السياحية بالإضافة إلى التبرعات والندور.

٦ — الوظائف: فكربلاء باعتبار كونها مركز (محافظة) فيها موظفون كثيرون، وبقرىها حامية عسكرية في المسيب وكل هذه الموارد تجعل من كربلاء بلدة تموج بالنشاط الاقتصادي.

البلدة المقدسة

وكربلاء باعتبارها بلدة مقدسة، فإنها خالية من المنكرات والموبقات، فلا سينمات فيها ولاحانات، ولاقمار، ولاغيرها من المنكرات التي نهي عنها الإسلام، وأحياناً يحاول

(مسؤول) أو جهة منحرفة، أن يأتي إلى كربلاء بهذه الأمور لكن رجال الدين والمتدينين يقفون دون ذلك.. ليس هذا فحسب، بل كربلاء المقدسة، تشكل — دائماً — قوة كبيرة أمام الإلحاد والميوعة والانحراف بالنسبة إلى كل العراق، بل سائر البلاد القريبة أيضاً فهي — إلى الآن — تمثل صوت الحسين (عليه السلام) الذي يدوي في مختلف الأرجاء، فإن الخطباء المجاهدين والعلماء الشجعان، والأثرياء الباذلين، وخدمة الروضتين الشرفاء ورؤساء العشائر والقبائل البواسل، ومن ورائهم طبقات الناس المتدينين، دائماً يقفون مناصرين للإسلام والمسلمين في كل مكان.

من بركات الإمام الحسين

وأهالي كربلاء — بحكم بلدتهم المقدسة — وبحكم الوعظ المستمر الذي يشع منهم عبر المنابر الحسينية، وبحكم وجود الحوزة العلمية فيها، وبحكم كون مدينتهم مقصد الوفود والزوار.. يتصفون بصفات سامية نادرة في هذه الأيام، كالألفة والمحبة، والهدوء، والنضج، والذكاء، والنبيل، والسماح، وحب الخير والنشاط، والتجنب عن الإثارة والاختلاف، والتعاون في الخير وما أشبه ذلك.

وهذه كلها من بركات الإمام الحسين (عليه السلام) فهو الذي جعل من كربلاء مدينة مقدسة يتجه إليها الناس بنياتهم الخيرة من قريب أو بعيد. ويعاملون أهالي كربلاء بالحسنى تكريماً لجوار الإمام الحسين (عليه السلام).

وكل بلدة اتجه الناس إلى أهاليها بالنيات الخيرة تجاوب معهم أهاليها بالنيات الخيرة، وكل بلدة اتجه الناس إلى أهاليها بالبيئات الشريرة، فالناس — غالباً — يعاملون بالمثل، ويربون في أطرافهم التزعة التي ينطلقون منها ومن هنا يظهر السبب في أن الوفود والزوار يعاملون — غالباً — في كربلاء معاملة حسنة، ويرجعون منها راضين معجبين.

خدمة الزائرين

وفي كربلاء المقدسة عدد كبير من الحسينيات ودور الاستراحة والفنادق الأهلية وشبه الرسمية، المعدة لاستقبال الزائرين، والغالب في خدمة الروضتين، القيام بخدمات

الزائرين، عن رغبة وطواعية، لأجل كسب الثواب، أما إجارة المنزل فإنما يتقاضونها من الزائرين لأجل تمشية المعاش، وغالبهم قانعون بلقمة العيش، ولذا لا تجد مستوى معيشة الأكثرية منهم إلا دون المتوسط، نعم هناك أفراد قلائل من خدمة الروضتين يتمتعون برفاه وسعة، والحقيقة أي كلما أرى تاجراً كبيراً، أو إنساناً ثرياً، أو عالماً ذا جاه، أو خطيباً موفقاً، أحمد الله على ذلك، وأسأله أن يكثر أمثاله من المسلمين، حتى ينطبق (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) في هذا المجال أيضاً، فلا يكون الكفار أعلى من المسلمين، في أي مجال، ومن الحديث (نعم العون على الدين الغني)، ومن الواجب الأخلاقي علي أن أشكر خدمة الروضتين بصورة عامة، لمشاركتهم لنا في مأساة وفاة الوالد (ره) ولوقوفهم الصلب في مكافحة المد الأحمر، واحتفال الإمام أمير المؤمنين، فإنهم بصورة خاصة، وسائر الأهالي بصورة عامة، أبدوا من الجرأة والإقدام والبسالة، وقد جمع بعض ما يرتبط بالأمر الأول في كتاب خاص باسم (حياة الإمام الشيرازي) وما يرتبط بالأمر الثاني في كتاب خاص بالاحتفال في عامه الأول.

هذا بعض ما خطر بذهني حول كربلاء المقدسة، سجلته لأجل الذكرى، وإني لأرجو إخواني أهالي كربلاء المقدسة مخلصاً أن ينبهوني إلى ما ينبغي تعديله في هذا الكتاب، لتداركه في المستقبل، والله المسؤول أن يوفق أهالي كربلاء المقدسة لكل خير، ويجزل لهم الثواب، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، وهو الموفق المستعان.

الكويت ٢٧- رمضان - ١٣٩١هـ -

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

[١] هجر: الهجر: ضد الوصل، هجره يهجره هجرًا وهجرانًا: صرّمه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة.